

معانى الكلمات :

- يوادون : يحبون ويتبعون .
- وايدهم بروح منه : وقواهم بنصره ، وينور يقذفه في قلوبهم .
- سبح لله : نزهه ومجده تعالى .
- فأتاهم الله : فأتاهم أمره وعقابه .
- لم يحتسبوا : لم يظنوا ولم يخطر لهم ببال .
- وقذف : وألقى وأنزل إنزالا شديدا .
- الجللاء : الخروج من الوطن بالأهل والولد .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حرمة موالة الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب .
- ٢ - أن نستشعر جلال الله وعظمته وعزته وحكمته في تسيبته من كل المخلوقات .
- ٣ - أن نتعرف على علة هزيمة بنى النضير وخروجهم من ديارهم .

المحتوى التربوي :

تحية القاعدة الثانية التي يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس ؛ إنها المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، والانحياز النهائي للصف المتميز ، والتجرد من كل عائق وكل جاذب ، والارتباط في العروة الواحدة بالحبل الواحد ، فما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين : ودًا لله ورسوله وودًا لأعداء الله ورسوله ؛ فأما إيمان أو لا إيمان ، أما هما معا فلا يجتمعان .

ومن الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين ، مهما كانت قرابتهم ، حتى ولو كانت القرابة قرابة أبوة وبنوة وأخوة وعشيرة ، فلا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ، ومن اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه فهذا ممن كتب

الله في قلبه الإيمان ، والسعادة في قلبه ، وزين الإيمان في بصيرته ، ولما سخطوا على القرائب والعشائر في الله ، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم ، وهم جند الله وأنصار الحق الذي أنزل ودعاة الخلق إليه ، فهم عباد الله وأهل كرامته ، والباقون في النعيم المقيم ، الفائزون بكل محبوب ، الآمنون من كل مرهوب ، الفائزون في الدنيا والآخرة .

قال صاحب الظلال : « وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين : حزب الله وحزب الشيطان ، وإلى رايتين اثنتين : راية الحق وراية الباطل ، فيما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل ... وهما صفان متميزان لا يختطان ولا يتميعان .

لا نسب ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ، ولا عصبية ولا قومية .. إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها ، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق ، فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله ، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم ، وتختلف عشائرتهم وتختلف أسرهم ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله ، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة ، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل ، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة ؛ لا من أرض ، ولا من جنس ولا من وطن ، ولا من لون ، ولا من عشيرة ، ولا من نسب ، ولا من صهر .. لقد أنبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج ، فأنبئت هذه الوشائج جميعا .

ومع إجماع هذه الآية بأنه كان هناك في الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقرابة وجواذب المصلحة والصداقة ، مما تعالجه هذه الآية في النفوس ، وهى تضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم والمفاصلة القاطعة .

سورة الحشر

يقول صاحب الأساس : « من مقدمة السورة ندرك مضمونها ، وأن له صلة بتنزيه الله وخضوع الأشياء كلها له ، واتصافه بالعزة والحكمة ، ولذلك سنرى في السورة مظاهر من عزته ، وحكمته .. وذكر اسم من أسماء الله عز وجل في ابتداء سورة يشعرا أن السورة مجلى لظهور هذا الاسم ، وها هنا في سورة الحشر نرى فعل الله بالكافرين والمنافقين وذلك من مظاهر عزته وتدبير الله للمؤمنين وذلك من مظاهر حكمته » .

وتبدأ السورة وتختتم بتسبيح الله الذى له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، بهذه الحقيقة التى وقعت وكانت فى الوجود ، حقيقة تسبيح كل شىء فى السموات ، وكل شىء فى

الأرض لله ، وانجاهها إليه بالتنزيه والتمجيد، فتفتح السورة التى نقص قصة إخراج الله للذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم وإعطائها للمؤمنين به المسبحين بحمده ، الممجدين لأسمايته الحسنى ، وهو القوى القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه الحكيم فى تدبيره وتقديره .

ثم يقص نبأ الحادث الذى نزلت فيه السورة ، ومن السياق نعلم أن الله هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، والله هو فاعل كل شىء ، وصيغة التعبير توقع فى الحس أن الله تولى هذا الإخراج من غير ستار لقدرته من فعل البشر وساق المخرجين للأرض التى منها يحشرون ، فلم تعد لهم عودة إلى الأرض التى أخرجوا منها ، ويؤكد فعل الله المباشر فى إخراجهم وسوقهم ، بأنكم لم تتوقعوا خروجهم ، ولا هم كانوا يسلمون فى تصور وقوعه ، فقد كانوا من القوة والمنعة فى حصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم أن تخرجوهم منها كما أخرجوا ، وبحيث غرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التى لا تردّها الحصون ، فاتاهم من داخل أنفسهم لا من داخل حصونهم ، اتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب ، فخرجوا حصونهم بأيديهم ، وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم ، ولا يحكمون قلوبهم ، ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم ، فضلا على أن يمتنعوا عليه ببنائهم وحصونهم ، وقد كانوا يحسبون حساب كل شىء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم ، فهم لم يحتسبوا هذه الجهة التى اتاهم الله منها .

وهكذا حين يشاء الله أمراً يأت له من حيث يعلم وحيث يقدر وهو يعلم كل شىء وهو على كل شىء قدير ، فلا حاجة إذن إلى سبب ولا إلى وسيلة ، مما يعرفه الناس ويقدرونه ، فالسبب حاضر دائماً ، والوسيلة مهيأة ، والسبب والنتيجة من صنعه ، ولن يمتنع عليه سبب ولا نتيجة ، وتتم حكاية ما وقع للذين كفروا من أهل الكتاب والله يأتيهم من وراء الحصون فتسقط بفعلهم هم ، ثم يزيدون فيخربونها بأيديهم وأيدي المؤمنين .

ويجىء التعقيب بأخذ العبرة والاتعاظ ، وهو أمر مقرر أن ينالهم النكال من الله ، ولولا أن اختار الله جلاءهم لعذبهم عذاباً آخر غير عذاب النار الذى ينتظرهم هناك ، فقد استحقوا عذاب الله فى صورة من صورته على كل حال .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - المودة لمن حارب الله ورسوله لا تجتمع مع الإيمان .

٢ - كل شىء فى الوجود يسبح بحمد الله تعالى ، وإن كنا لا نفهم تسبيحه ، وعلى المسلم أن يتناغم مع بقية المخلوقات .

٣ - سنة الله تعالى فى كل من يجاده ويحاد رسوله أن ينزل به أشد أنواع العقوبات .

معاني الكلمات :

شاقوا : عادوا وعصوا وحادوا .

لينته : نخلة ، أو نخلة كريمة .

على أصولها : على سوقها .

أفاء : رد وأعاد .

فما أوجفتم عليه : فما أجزيتم على تحصيله .

دولاً : ملكا متداولات

تبؤوا : توطنوا

خصاصة : فقر واحتياج .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعلم بعض أحكام الفيء .
- ٢ - أن نتعرف على بعض سنن الله في خلقه .
- ٣ - أن نعلم الخصائص العليا لأهل الإيثار والتقوى ، مهاجرين ومهاجرين إليهم .

المحتوى التربوي :

المشاققة أن يأخذوا لهم شقا غير شق الله وجانباً غير جانبه ، وقد جعل الله جانبه هو جانب رسوله حين وصف علة استحقاقهم للعذاب في صدر الآية ، فالتقى في عجزها بمشاققة الله وحدها ، فهي تشمل مشاققة الرسول وتضمنها ، ثم ليقف المشاققون في ناحية أمام الله - سبحانه - وهو موقف فيه تبجح قبيح ، حين يقف المخاليق في وجه الخالق يشاققونه ، وموقف كذلك رعيب وهذه المخاليق الضئيلة الهزيلة تتعرض لغضب الله وعقابه ، وهو شديد العقاب ، وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاققين في كل أرض ، وفي كل وقت ؛ من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب ، وما استحقوا به هذا العقاب .

ثم يطمئن المؤمنين على صواب ما أوقعوه بهؤلاء الذين كفروا وشاققوا الله ورسوله من تقطيع نخيلهم وتحريقه ، أو تركه كذلك قائماً ، وبيان حكم الله فيه ، وقد دخل نفوس بعض المسلمين

شيء من هذا، فجاءهم هذا البيان يربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذى تولى بيده هذه الواقعة، وأراد فيها ما أراد، وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه أراد به أن يخزي الفاسقين، وقطع النخيل يخزيهم بالحسرة على قطعه، وتركه يخزيهم بالحسرة على فوته، وإرادة الله وراء هذا وذلك على السواء.

ويجىء السياق فيقرر حكم الفىء الذى أفاءه الله على رسوله فى هذه الواقعة وفيما يائئلهما، مما لم يتكلف فيه المسلمون غزواً ولا قتالاً؛ أى الوقائع التى تولتها يد الله جهرة ومباشرة وبدون ستار من الخلق كهذه الواقعة، ويبين السياق حكم الله فى هذا الفىء وأمثاله مع وصف أحوال الجماعة المسلمة فى حينها، كما تقرر طبيعة الأمة على مدار الزمان، لا ينفصل فيها جيل عن جيل، ولا قوم عن قوم، ولا نفس عن نفس.

ويذكر السياق المسلمين أن هذا الفىء الذى خلفه وراءهم بنو النضير لم يركضوا هم عليه خيلاً، ولم يسرعوا إليه ركباً فحكمه ليس حكم الغنيمة التى أعطاهم أربعة أخماسها واستبقى خمساً فقط لله ورسوله ولذى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والرسول ﷺ هو الذى يتصرف فيه كله فى هذه الوجوه، وذوو القربى المذكورون هم قرابة رسول الله ﷺ إن كانت الصدقات لا تحل لهم، فليس لهم فى الزكاة نصيب، وإن كان النبى لا يورث فليس لذوى قرابته من ماله شيء وفيهم الفقراء الذين لا مورد لهم، فجعل لهم من خمس الغنائم نصيباً، كما جعل لهم من هذا الفىء وأمثاله نصيباً، فأما بقية الطوائف والمصارف فأمرها معروف، والرسول ﷺ هو المتصرف فيها.

هذا هو حكم الفىء وتبينه الآيات، ولكنها لا تقتصر على الحكم وعلته القريبة، إنها تفتح القلوب على حقيقة أخرى كبيرة، والله يسلط رسله على من يشاء، فهو قدر الله، وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء، وبهذا يتصل شأن الرسل بقدر الله المباشر، فهم يتحركون بهوهم، وما يأخذون، أو يدعون لحسابهم، وما يغزون، أو يقعدون، وما يخاصمون أو يصالحون إلا لتحقيق جانب من قدر الله فى الأرض منوط بهم ويتصرفاتهم وتحركاتهم فى هذه الأرض، والله هو الفاعل من وراء ذلك كله، وهو على كل شيء قدير.

وتضع القسمة قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى، كما تضع قاعدة كبرى فى التشريع الدستورى للمجتمع الإسلامى.

والقاعدة الأولى: قاعدة التنظيم الاقتصادى، قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعاً من التداول بين الفقراء، فكل وضع ينتهى إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعى كله، وجميع الارتباطات والمعاملات فى المجتمع الإسلامى يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقى عليه إن وجد.

وأما القاعدة الثانية : قاعدة تلقى الشريعة من مصدر واحد ، وهى كذلك تمثل النظرية الدستورية الإسلامية ، فسلطان القانون فى الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول ﷺ قرآناً ، أو سنة ، والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول ، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان ، وحين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول بخصوص أمر يعرض للأمة فسيبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلاً من أصول ما جاء به الرسول ، وهذا لا ينقض تلك النظرية إنما هو فرع عنها ، وتربط الآية هاتين القاعدتين فى قلوب المؤمنين بمصدرهما الأول وهو الله ، فتدعوهم إلى التقوى وتخوفهم عقاب الله ، فهو شديد العقاب .

ويبين السياق من أصناف من تقدم من أصحاب الفىء من أحق بالعناية والرعاية ، وتأتى صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين ..أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم ، أكرههم على الخروج الأذى ، والاضطهاد ، والتكر من قرابتهم وعشيرتهم فى مكة ، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله ، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم واعتمادهم على الله فى فضله ورضوانه ، لا ملجأ لهم سواه ، ولا جناب لهم إلا حماه ، وهم مع أنهم مطاردون قليلون ، ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم فى أخرج الساعات وأضيق الأوقات ، وأولئك هم الصادقون الذين قالوا كلمة الإيـان بألستهم وصدقوها بعملهم ، وكانوا صادقين مع الله فى أنهم اختاروه ، وصادقين مع رسوله فى أنهم اتبعوه ، وصادقين مع الحق فى أنهم كانوا صورة تدب على الأرض ويراهـا الناس .

وتأتى صورة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار...تبؤوا دار الهجرة قبل المهاجرين ، كما تبؤوا فيها الإيـان ، وكأنه منزل لهم ودار ، وقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذى تعيش فيه قلوبهم ، وتسكن إليه أرواحهم ، ويشوبون إليه ويطمثون له ، كما يشوب المرء ويطمثن إلى الدار ، ولم يعرف التاريخ كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخى ، ولا يجردون فى أنفسهم شيئاً فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف .

وهم يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدؤون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك ، ومن سلم من الشح فقد أفلح وأنجح ، فهذا الشح شح النفس هو المعوق عن كل خير ؛ لأن الخير بذل فى صورة من الصور ؛ بذل فى المال ، وبذل فى العاطفة ، وبذل فى الجهد ، وبذل فى الحياة عند الاقتضاء ، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - كل وضع ينتهى إلى أن يكون دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية .

٢ - صدق المسلم فى أن يكون صورة من الحق تدب على الأرض .

٣ - شح النفس معوق عن كل خير .

معانى الكلمات :

- غلا : حقدا وبغضا وغشا .
 محصنة : محاطة بالأسوار والخنادق .
 وراء جدر : وراء الحيطان .
 بأسهم بينهم : قتالهم فيما بينهم .
 تحسبهم : تظنهم .
 شتى : متفرقة .
 وبال أمرهم : سوء عاقبة أمرهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على أهم ملامح التابعين وأخص خصائص الأمة .
- ٢ - أن نعلم قوة العلاقة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب .
- ٣ - أن نعلم طبيعة المنافقين .

المحتوى التربوي :

تحجى الصورة الثالثة وهى تبرز أهم ملامح التابعين كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق فى جميع الأوطان والأزمان ، هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربه فى طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان، وفى طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق ممن يربطهم رباط الإيمان مع الشعور برأفة الله ورحمته، ودعائه بهذه الرحمة ، وتلك الرأفة .

يقول صاحب الظلال : « وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة فى هذا الوجود ، تتجلى الأصرة القوية الوثيقة التى تربط أول هذه الأمة بآخرها ، وآخرها بأولها فى تضامن وتكافل وتواد وتعاطف ، وشعور بوشيجة القرى العميقة

التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب ، وتنفرد وحدها في القلوب ، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة ، فيذكر المؤمن بعد القرون المتطاولة ، كما يذكر أخاه الحى ، أو أشد في إعزاز وكرامة وحب ، ويمسح السلف حساب الخلف ، ويمضى الخلف على آثار السلف ؛ صفا واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان ، تحت راية الله تغذ السير صعوداً إلى الأفق الكريم متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم .

ويرسم السياق صورة المنافقين ، فيحكى ما قاله المنافقون ليهود بنى النضير ثم لم يفوا به ، وخذلوه في حيا حتى أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، وأول لفظة في الآيات هى تقرير القرابة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، فأهل الكتاب هؤلاء كفروا ، والمنافقون إخوانهم ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام ، ثم هذا التوكيد الشديد في وعد المنافقين لإخوانهم ، والله الخبير بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون ، ويؤكد غير ما يؤكدون ، فهم كاذبون فيما وعدوهم به ؛ إما لأنهم قالوا لهم قولاً ومن نيتهم ألا يفوا لهم به ؛ وإما لأنهم لا يقع منهم الذى قالوه ، وكان ما شهد به الله ، وكذب ما أعلنوه لإخوانهم وقروره ، وعلى فرض أنهم فعلوا ما وعدوا ونصر المنافقون اليهود ولا ينصرون بعد ذلك ، أو اليهود ثم لا ينفعهم نصره المنافقين .

ثم يقرر السياق حقيقة قائمة في نفوس المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ، فهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله ، ولو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده ، فإنما هو خوف واحد ورهبة واحدة ، ولا يجتمع في قلب خوف من الله وخوف من شىء سواه ، فالعزة لله جميعاً وكل قوى الكون خاضعة لأمره ، فممن يخاف إذن ذلك الذى يخاف الله ؟ ولكن الذين لا يفقهون هذه الحقيقة يخافون عباد الله أشد مما يخافون الله .

وهكذا يكشف عن حقيقة القوم الواقعة ، ويقرر في الوقت ذاته تلك الحقيقة المجردة ، ويمضى يقرر حالة قائمة في نفوس المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، تنشأ عن حقيقتهم السابقة ، ورهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله ، وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في « تشخيص » حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أى زمان وفي أى مكان ، وتبقى الملامح النفسية الأخرى ؛ فعداوتهم بينهم شديدة ، وتراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف .

يقول صاحب الظلال : « والمظاهر قد تحدد فنرى تضامناً بين الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم ، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض ، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد ، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم ؛ إنما هو مظهر خارجي خادع ،

وبين الحين والحين يتكشف هذا الستار الخادع .. عن نزاع في داخل المعسكر الواحد ، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء ، وتصادم الاتجاهات ... وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار ، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدرس في القلوب الشيتية المتفرقة ...

والقرآن يقر هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين ؛ ليهون فيها من شأن أعدائهم ، ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم ، فهو إجماع قائم على حقيقة ، وتعبئة روحية ترتكز إلى حق ثابت ، ومتى أخذ المسلمون قرأتهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله ، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد ، فلم تقف لهم قوة في الحياة ، والمؤمنون بالله ينبغى لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم ، فهذا نصف المعركة .

ولم يكن حادث بنى النضير هو الأول من نوعه ، فقد سبقه حادث بنى قينقاع وقد كتب عليهم الجلاء قبلهم ووقعة بنى قينقاع كانت بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، فلما انتصر المسلمون على المشركين في بدر كره اليهود ذلك ، وحقدوا على المسلمين أن ينالوا هذا الانتصار العظيم ، وخافوا أن يؤثر هذا على موقفهم في المدينة فيضعف من مركزهم بقدر ما يقوى من مركز المسلمين .

وبلغ رسول الله ﷺ ما يتهامون به وما يفكرون به من الشر ، فذكرهم العهد وحذرهم مغبة هذا الاتجاه ، فردوا رداً غليظاً مغيظاً فيه تهديد ، قالوا : يا محمد ، إنك لترى أنا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ، ثم أخذوا يتحرشون بالمسلمين ، حتى وقع الشر بينهم وبين المسلمين .

وحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، ورضى الرسول ﷺ في النهاية أن يجلبوا عن المدينة ، وأن يأخذوا معهم أموالهم ومتاعهم إلا السلاح ورحلوا إلى الشام ، ويضرب للمنافقين الذين أغروا إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بالمقاومة ، فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة ، يضرب لهم مثلاً بحال دائمة ، حال الشيطان مع الإنسان الذي يستجيب لإغرائه فينتهى وإياه إلى شر مصير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

١ - سمة نفوس الصالحين التوجه إلى ربها لطلب المغفرة لها ولسلفها الذين سبقوا بالإيمان .

٢ - خلق الوعد آية النفاق وعلامته البارزة .

٣ - الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولا تنفك عنهم .

معاني الكلمات :

- نسوا الله : لم يراعوا أو امره ونواهيه .
فأنساهم أنفسهم : فلم يقدموا لها ما
ينفعها عنده .
خاشعا : ذليلا خاضعا .
متصدعا : متشققا .
القدوس : البليغ في النزاهة عن النقائص .
المؤمن : المصدق لرسله بالمعجزات .
المتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة .
البارئ : المبدع المخترع .



الأهداف الإجرائية السلوكية :

- ١ - أن نستشعر مراقبة الله - تعالى - والنظر يوميا فيما قدم الإنسان للأخرة وما أخر .
- ٢ - أن نعلم عدم التساوى بين أهل النار وأهل الجنة .
- ٣ - أن نعلم أن المنهج الكامل في التفكير، والشعور، والسلوك قائم على أساس وحدانية الإله .

المحتوى التربوي :

صورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بنى الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته ، فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان ، وحاله هو هذا الحال ؛ فإنه إذا غر إنسانا ووعده على اتباعه وكفره بالله ، والنصرة عند الحاجة إليه ، فلما كفر بالله واتبعه وأطاعه ، قال مخافة أن يشركه في عذابه مسلما له وخاذلا ؛ إنى برىء منك فلا أعينك فى نصرتك ، إنى أخاف الله ، فلم ينفعه التبرؤ ، كما لم ينفع الأول وعده بالإعانة ، فكانت عاقبتها الكفر ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها وذلك جزاء كل ظالم .

ثم يتجه الخطاب إلى المؤمنين ، يهتف بهم باسم الإيمان ، ويناديهم بالصفة التى تربطهم بصاحب الخطاب ، ويسر عليهم الاستجابة لتوجيهه وتكليفه ، يتجه إليهم ليدعوهم إلى التقوى

والنظر فيما أعدوه للآخرة ، واليقظة الدائمة والحذر من نسيان الله كالذين نسوه من قبل ، ممن رأوا مصير فريق منهم ، ومن كتب عليهم أنهم من أصحاب النار ، والتقوى حالة في القلب يشير إليها اللفظ بظلاله ، ولكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها ، حالة تجعل القلب يقظا حساسا شاعراً بالله في كل حالة ، خائفا متحرجا مستحييا أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها ، وعين الله على كل قلب في كل لحظة ، فمتى يأمن ألا يراه ؟ !

ولتنتظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ومجرد خطور يوم الحساب على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته ، ويمد ببصره في سطره كلها يتأملها ، وينظر رصيده حسابها بمفرداته وتفصيلاته ؛ لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة ، وهذا التأمل كفيلا بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير ، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد ، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا ، ونصيبه من البر ضئيلا ؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً ، ولا يكف عن النظر والتقليب ، ولا تنتهي الآية التي تثير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤدية بمزيد من اليقظة ، ومزيد من التقوى ، والله عليم بكل الأعمال والأحوال .

ويأتى التحذير من نسيانهم ذكر الله ، فينسيهم الله العمل الصالح الذي ينفع في المعاد ، والذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى ، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى ، وفي هذا نسيان لإنسانيته ، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى ، وهى نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زاداً للحياة الطويلة الباقية ، ولا ينظر فيما قدم لها في الغداة من رصيد ، وهؤلاء هم المنحرفون الخارجون .

وفي الآية التالية يقرر أن هؤلاء هم أصحاب النار ، ويشير للمؤمنين ليسلكوا طريقاً غير طريقهم وهم أصحاب الجنة ، وطريق أصحاب الجنة غير طريق أصحاب النار لا يستويان طبيعة وحالا ، ولا طريقاً ولا سلوكاً ، ولا وجهة ولا مصيراً ، فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبداً في طريق ، ولا يلتقيان أبداً في سمة ، ولا يلتقيان أبداً في خطة ، ولا يلتقيان أبداً في سياسة ، ولا يلتقيان أبداً في صف واحد في دنيا ولا آخرة ، ويثبت مصير أصحاب الجنة ، ويدع مصير أصحاب النار مسكوتاً عنه معروفاً ، وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير .

ويعرض أثر القرآن في الصخر الجامد لو تنزل عليه ، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته ، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ، لخشع وتصدع من خوف الله - عز وجل - فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ وكذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ، وهى خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير .

وتجىء التسيبحة المديدة بأسماء الله الحسنى ، وكأنها هى أثر من آثار القرآن في كيان الوجود كله ، ينطلق بها لسانه وتتجاوب بها أرجاؤه ، وهذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود ،

وفي حركته وظواهره ، فهو إذ يسبح بها يشهد كذلك بآثارها ، ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ ، وأثر في حياة البشر ملموس ، فهى توحى إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء والصفات ، فاعلية ذات أثر وعلاقة بالناس والأحياء ، وليست هى صفات سلبية أو منغزلة عن كيان هذا الوجود ، وأحواله ، وظواهره المصاحبة لوجوده .

وتتقرر فى الضمير وحدانية الاعتقاد ، وحدانية العبادة ، وحدانية الاتجاه ، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه ، ويقوم على هذه الوحدانية منهج كامل فى التفكير والشعور والسلوك ، وارتباطات الناس بالكون وسائر الأحياء ، وارتباطات الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله ، ويستقر فى الضمير الشعور بعلم الله للظاهر والمستور ، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله فى السر والعلانية ، ويعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقب من الله المراقب لله ، الذى لا يعيش وحده ولو كان فى خلوة أو مناجاة ، ويكيف سلوكه بهذا الشعور الذى لا يغفل بعده قلب ولا ينام .

ويستقر فى الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله والاسترواح، ويتعادل الخوف والرجاء، والفرح والطمأنينة ، ويستقر فى الضمير ألا ملك إلا الله الذى لا إله إلا هو ، وإذا توحدت الملكية لم يبق للمملوكين إلا سيد واحد يتجهون إليه ، ولا يجذمون غيره ، ويأتى اسم القدوس يشع القداسة المطلقة ، والطهارة المطلقة ، ويلقى فى ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور ، فينظف قلبه هو ويظهره ؛ ليصبح صالحاً لتلقى فيوض الملك القدوس ، ويأتى اسم السلام فيشيع السلام والأمن والطمأنينة فى جنبات الوجود ، وفى قلب المؤمن تجاه ربه ، فهو آمن فى جواره ، سالم فى كنفه ، ويؤوب القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان ، والله وحده واهب الأمن وواهب الإيثار ، ولفظ هذا الاسم يشعر القلب بقيمة الإيثار .

وتجىء صفات تتعلق بذات الله فاعلة فى الكون والناس توحى بالسلطان والرقابة ، فهو الشاهد على خلقه بأعمالهم ، وصفات العزيز الجبار المتكبر صفات توحى أيضاً بالغلبة والقهر والجبروت والاستعلاء ، وليس غيره بإله فهو الإله الواحد الذى إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون على الصفة التى يريد ، والصورة التى يختار ، فهو الخالق البارئ المصور ، وهو بلا حاجة إلى استحسان من الخلق ، ولا توقف على استحسانهم فله الأسماء الحسنى وتنتهى السورة بمشهد التسبيح لله يشيع فى جنبات الوجود ، وينبعث من كل موجود فهو العزيز ذو الحكمة .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - مهما يكن المسلم أسلف من خير وبذل ومن جهد ، فعليه أن يتيقظ إلى أن فيه مواضع ضعف ، ومواضع نقص ، ومواضع تقصير .

٢ - للقرآن ثقل وسلطان وخليق بالقلوب أن تتيقظ للتأمل والتفكير فيه .

٣ - الأسماء الحسنى ترشد العقول إلى قدرة الله البالغة وتقرر فى الضمير وحدانية الاعتقاد ، ووحدانية العبادة ، ووحدانية الاتجاه ، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه .